محمود درويش



أوراق الزيتون

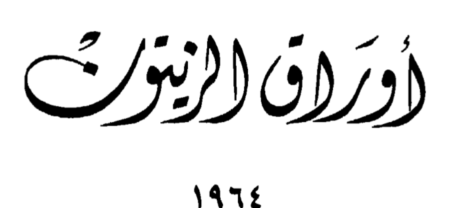
الطبعة الحادية عشرة

دار العودة - بيروت

أوراق الزيتون

تصميم الغلاف : الفنان نبيل قدوح

محمود درويش



١٩٦٤

دار العودة - بيروت

١٩٩٣/١٠/١

الطبعة الحادية عشرة

يطلب من دار العودة - بيروت

كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر

تلفون: ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥

ص. ب: ١٤٦٢٨٤ / برقياً: العودة

إلى القارىء

الزنبقاتُ السودُ في قلبي
وفي شَفَتي . . . اللهبْ
من أي غابٍ جئتِني
يا كلَّ صلبانِ الغضبْ ؟

بايعتُ أحزاني . .
وصافحتُ التشردَ والسّغَبْ
غضبٌ يدي . .
غضبٌ فمي . .
ودماءُ أوردتي عصيرٌ من غضبْ !
يا قارئي !
لا ترجُ مني الهمسَ !

لا ترجُ الطربْ

هذا عذابي . .
ضربةٌ في الرمل طائشةٌ
وأُخرى في السُّحُبْ !
حسبي بأني غاضبٌ
والنارُ أولُها غَضَبْ !

ولاء

حملتُ صوتكَ في قلبي وأوردتي
فما عليك إذا فارقتَ معركتي
أطعمتُ للريح أبياتي وزخرفها
إن لم تكن كسيوف النارِ.. قافيتي !
آمنت بالحرفِ.. إما ميتاً عَدَماً
أو ناصباً لعدوّي حبلَ مشنقةِ
آمنت بالحرف ناراً.. لا يضير إذا
كنتُ الرمادَ أنا.. أو كان طاغيتي !
فإن سقطتُ.. وكفي رافع علمي
سيكتبُ الناس فوق القبر :
«لم يَمُتِ»

نشيد ما

عَسَلٌ شفاهكِ، واليدانْ
كأسا خمور..
للآخرين..

*

الدوح مروحةٌ، وحرشُ السنديانْ
مشط صغير
للآخرين..
وحرير صدرِك، والندى، والأقحوانْ
فرش وثير
للآخرين..

*

وأنا على أسوارك السوداء ساهدْ

عَطَشُ الرمالِ أنا. . وأعصابُ المواقدْ !
من يوصدُ الأبوابَ دوني ؟
أي طاغية ومارِدْ !!
سأحب شهدكِ. .
رغم أن الشهدَ يُسكب في كؤوس الآخرين
يا نحلةً
ما قَبَّلتْ إلاّ شفاه الياسمينْ!

عن إنسان

وضعوا على فمه السلاسلْ
ربطوا يديه بصخرة الموتى ،
وقالوا : أنت قاتلْ !

*

أخذوا طعامَهُ ، والملابسَ ، والبيارقْ
ورموه في زنزانة الموتى ،
وقالوا: أنت سارقْ !

طردوه من كل المرافىء
أخذوا حبيبته الصغيرة ،
ثم قالوا: أنت لاجىء !

*

يا دامي العينين، والكفين !

إن الليل زائلْ

لا غرفةُ التوقيف باقيةٌ

ولا زَرَدُ السلاسلْ !

نيرون مات، ولم تمت روما. . .

بعينيها تقاتلْ !

وحبوبُ سنبلةٍ تموت

ستملأُ الوادي سنابلْ. . !

أمل

ما زال في صحونكم بقية من العسلْ
ردوا الذباب عن صحونكم
لتحفظوا العسلْ !

*

ما زال في كرومكم عناقد من العنبْ
ردوا بنات آوى
يا حارسي الكروم
لينضج العنبْ..

*

ما زال في بيوتكم حصيرةٌ.. وبابْ
سدوا طريق الريح عن صغاركم
ليرقد الأطفال

الريح بردٌ قارسٌ.. فلتغلقوا الأبوابْ..

*

ما زال في قلوبكم دماءْ
لا تسفحوها أيها الآباء..
فإن في أحشائكم جنين..

*

ما زال في موقدكم حطبْ
وقهوةٌ.. وحزمةٌ من اللهبْ..

مرثية

لملمتُ جرحكَ يا أبي

برموش أشعاري

فبكت عيون الناس

من حزني . . ومن ناري

وغمست خبزي في التراب . .

وما التمست شهامة الجارِ !

وزرعت أزهاري

في تربةٍ صمَّاء عارية

بلا غيم . . . وأمطارِ

فترقرقتْ لما نذرت لها

جرحاً بكى برموش أشعاري !

عفواً أبي !

قلبي موائدهم

وتمزُّقي . . وتيتُّمي العاري !

ما حيلة الشعراء يا أبتي

غير الذي أورثتَ أقداري

إن يشرب البؤساء من قدحي

لن يسألوا

من أي كرم خمريَ الجاري !

وعاد.. في كفن

- ١ -

يحكون في بلادنا

يحكون في شَجَنْ

عن صاحبي الذي مضى

وعاد في كفنْ

*

كان اسمه. . .

لا تذكروا اسمهْ !

خلوه في قلوبنا. .

لا تدعوا الكلمةْ

تضيع في الهواء، كالرماد. .

خلوه جرحاً راعفاً . . لا يعرف الضماد

طريقه إليه . .

أخاف يا أحبتي . . أخاف يا أيتام . .

أخاف أن ننساه بين زحمة الأسماء

أخاف أن يذوب في زوابع الشتاء !

أخاف أن تنام في قلوبنا

جراحنا . .

أخاف أن تنام !!

- ٢ -

العمرُ . . . عُمْرُ برعمٍ لا يذكر المطر . .

لم يبك تحت شرفة القمر

لم يوقف الساعات بالسهر . .

وما تداعت عند حائطٍ يداه . .

ولم تسافر خلف خيط شهوةٍ . . عيناه !

ولم يُقَبِّل حلوةً . .

لم يعرف الغزل

غير أغاني مطرب ضيَّعه الأمل

ولم يقل لحلوة: الله !

إلّا مرتين !

لم تلتفت إليه . . ما أعطته إلّا طرف عين

كان الفتى صغيرا . .

فغاب عن طريقها

ولم يفكر بالهوى كثيرا . . !

- ٣ -

يحكون في بلادنا

يحكون في شجن

عن صاحبي الذي مضى

وعاد في كفن

ما قال حين زغردت خطاه خلف الباب

لأمه : الوداع !

ما قال للأحباب . . للأصحاب :

موعدنا غداً !

ولم يضع رسالة . . كعادة المسافرين

تقول: إني عائدٌ . . وتُسكتُ الظنون

ولم يَخُطَّ كلمةً . .

تُضيء ليلَ أمه التي . .

تخاطب السماء والأشياء،

تقول: يا وسادة السرير !

يا حقيبة الثياب !

يا ليل ! يا نجوم ! يا إله ! يا سحاب ! :

أما رأيتم شارداً.. عيناه نجمتان ؟

يداه سلتان من ريحان

وصدره وسادة النجوم والقمر

وشعره أرجوحةٌ للريح والزهر !

أما رأيتم شارداً

مسافراً لا يحسن السفر !

راح بلا زوّادة، من يطعم الفتى

إن جاع في طريقه ؟

من يرحم الغريب ؟

قلبي عليه من غوائل الدروب !

قلبي عليك يا فتى.. يا ولداه !

قولوا لها، يا ليل ! يا نجوم !

يا دروب ! يا سحاب !

قولوا لها : لن تحملي الجواب

فالجرح فوق الدمع . . فوق الحزن والعذاب !
لن تحملي . . لن تصبري كثيرا
لأنه . .
لأنه مات، ولم يزل صغيرا !

- ٤ -

يا أمه !
لا تقلعي الدموع من جذورها !
للدمع يا والدتي جذور،
تخاطب المساء كل يوم . .
تقول : يا قافلة المساء !
من أين تعبرين ؟
غصَّتْ دروبُ الموت . . حينَ سَدَّها المسافرون
سُدَّتْ دروب الحزن . . لو وقفتِ لحظتينِ
لحظتين !
لتمسحي الجبين والعينين
وتحملي من دمعنا تذكار
لمن قضوا من قبلنا . . أحبابنا المهاجرين
يا أمه !
لا تقلعي الدموع من جذورها

خلّي ببئر القلب دمعتين !
فقد يموت في غد أبوه . . أو أخوه
أو صديقه أنا
خلي لنا . .
للميتين في غد لو دمعتين . . . دمعتين !

- ٥ -

يحكون في بلادنا عن صاحبي الكثيرا
حرائقُ الرصاصِ في وجناته
وصدره . . ووجهه . .
لا تشرحوا الأمور !
أنا رأيت جرحه
حدقت في أبعاده كثيرا . .
«قلبي على أطفالنا»
وكل أُم تحضن السريرا !
يا أصدقاء الراحل البعيد
لا تسألوا : متى يعود
لا تسألوا كثيرا
بل اسألوا : متى
يستيقظ الرجال !

الموت في الغابة

نامي !

فعين الله نائمةٌ

عنا.. وأسرابُ الشحاريرِ

والسنديانةُ.. والطريق هنا

فتوسدي أجفانَ مصدورِ

وثلاثَ عشرةَ نجمةً خمدتْ

في دربِ أوهامِ المقاديرِ

لا شيء ! قصةُ طفلة همدتْ

لا شيء يوحي صمت تفكيرِ

جرحٌ صغير.. مات صاحبُهُ

فطواه ليل كالأساطيرِ

تاريخه.. أنفاسُ مزرعةٍ

تسطو عليها كفٌّ شريرِ
كانت، فلا نقرات قُبَّرةٍ
بقيت، ولا صيحات ناطورِ
وغصونُ زيتونٍ مقدسةٌ
ذبلت عليها قطرة النورِ !
لا شيءَ يستدعي غناءَ أسى
فالموت أكبر من مزاميري . .
نامي . . . عيون اللَّه نائمة
عنا، وأسرابُ الشحاريرِ
وضِمادُ جرحكِ زهرةٌ ذبلت !
في مسربٍ في السفح مهجورِ
لكنَّ عين أخيك ساهرةٌ
خلف الضباب، ووحشة السورِ
وفؤاده ملقى على جسد
ينهدُّ كالأطلالِ . . مصدورِ
ويداه ممسكتان في لَهَفٍ
بترابه . . رغم الأعاصيرِ ! . .

ثلاث صور

- ١ -

كان القمر
كعهده ـ منذ ولدنا ـ باردا
الحزن في جبينه مرقرق..
روافدا.. روافدا
قرب سياج قرية
خرَّ حزيناً
شاردا..

- ٢ -

كان حبيبي
كعهده ـ منذ التقينا ـ ساهما
الغيم في عيونه

يزرع أُفْقاً غائما . .

والنار في شفاهه

تقول لي ملاحما . .

«لم يزل في ليله يقرأ شعراً حالما

يسألني هدية . .

وبيت شعر . ناعما !

- ٣ -

كان أبي

كعهده ، مُحمَّلاً متاعبا

يطارد الرغيفَ أينما مضى . .

لأجله . . يصارع الثعالبا

ويصنع الأطفال . .

والتراب . .

والكواكبا . .

أخي الصغير اهترأت

ثيابه . . فعاتبا

وأختي الكبرى اشترت جواربا !

وكل من في بيتنا يقدم المطالبا

ووالدي ـ كعهده ـ

يسترجع المناقبا

ويفتل الشواربا !

ويصنَعُ الأطفال . .

والتراب . .

والكواكبا !

الموعد الأول

شدَّتْ على يدي

ووشوشتني كلمتين

أعزَّ ما ملكته طوال يوم :

«سنلتقي غداً»

ولفَّها الطريق .

*

حلقتُ ذقني مرتين !

مسحت نعلي مرتين

أخذت ثوب صاحبي . . وليرتين . .

لأشتري حلوى لها ، وقهوة مع الحليب! . .

*

وحدي على المقعد

والعاشقون يبسمون . .

وخافقي يقول :

ونحن سوف نبتسم !

*

لعلها قادمة على الطريق . .

لعلها سهت .

لعلها . . لعلها

ولم تزل دقيقتان !

*

النصف بعد الرابعةْ

النصف مرّ

وساعة . . وساعتان

وامتدت الظلال

ولم تجىء من وعدتْ

في النصف بعد الرابعةْ

أغنية

وحين أعود للبيتِ
وحيداً فارغاً، إلاّ من الوحده
يداي بغير أمتعةٍ، وقلبي دونما ورده
فقد وزعت ورداتي
على البؤساء منذ الصبح . . ورداتي
وصارعت الذئاب، وعدت للبيتِ
بلا رنّات ضحكةِ حلوةِ البيتِ
بغير حفيف قبلتها
بغير رفيف لمستها
بغير سؤالها عني، وعن أخبار مأساتي
وحيداً أصنع القهوه
وحيداً أشرب القهوه

فأخسر من حياتي . . .

أخسر النشوه

رفاقي ها هنا المصباح والأشعار، والوحده

وبعض سجائر . . وجرائد كالليلِ مسودَّه

وحين أعود للبيتِ

أحس بوحشة البيتِ

وأخسر من حياتي كل ورداتي

وسرَّ النبعِ . . نبعِ الضوء في أعماق مأساتي

وأختزن العذاب لأنني وحدي

بدون حنان كفيكِ

بدون ربيع عينيكِ ! . .

رسالة من المنفى

- ١ -

تحيةً . . وقبلةً

وليس عندي ما أقول بعدْ

من أين أبتدي؟ . . وأين أنتهي؟ .

ودورة الزمان دون حدْ

وكل ما في غربتي

زوادةٌ، فيها رغيفٌ يابسٌ، وَوَجْدْ

ودفترٌ يحمل عني بعض ما حملت

بصقتُ في صفحاته ما ضاق بي من حقدْ

من أين أبتدي ؟

وكل ما قيل وما يقال بعد غدْ

لا ينتهي بضمةٍ. . . أو لمسةٍ من يدْ
لا يُرجعُ الغريبَ للديار
لا يُنزلُ الأمطار
لا يُنبتُ الريشَ على
جناح طير ضائع . . منهدْ
من أين أبتدي
تحيةً . . وقبلةً . . وبعدْ . .

- ٢ -

أقول للمذياع . . قل لها أنا بخيرْ
أقول للعصفورِ
إن صادفتها يا طيرْ
لا تنسني، وقلْ : بخيرْ
أنا بخير
أنا بخير
ما زال في عيني بصر !
ما زال في السما قمر !
وثوبي العتيق، حتى الآن، ما اندثر
تمزقت أطرافهُ

لكنني رتقتهُ . . ولم يزل بخير
وصرت شاباً جاوز العشرين
تصوَّريني . . صرت في العشرين
وصرت كالشبابِ يا أُماه
أُواجه الحياه
وأحمل العبءَ كما الرجال يحملون
وأشتغل
في مطعم . . وأغسلُ الصحون .
وأصنع القهوة للزبون
وأُلصق البسمات فوق وجهي الحزين
ليفرح الزبون

- ٣ -

أنا بخير
قد صرت في العشرين
وصرت كالشباب يا أُماه
أُدخن التبغ، وأتكي على الجدار
أقول للحلوة : آه
كما يقول الآخرون
«يا إخوتي ؛ ما أطيب البنات،

تصوروا كم مُرَّة هي الحياة
بدونهن.. مُرَّة هي الحياة».
وقال صاحبي: «هل عندكم رغيف ؟
يا إخوتي ؛ ما قيمة الإنسان
إن نام كل ليلةٍ.. جوعان؟»
أنا بخير
أنا بخير
عندي رغيف أسمر
وسلة صغيرة من الخضار

- ٤ -

سمعت في المذياع
تحية المشردين.. للمشردين
قال الجميع: كلنا بخير
لا أحدٌ حزين ؛
فكيف حال والدي ؟
ألم يزل كعهده، يحب ذكر اللّه
والأبناء.. والتراب.. والزيتون ؟
وكيف حال إخوتي

هل أصبحوا موظفين ؟

سمعت يوماً والدي يقول :

سيصبحون كلهم معلمين . .

سمعته يقول :

(أجوع حتى أشتري لهم كتاب)

لا أحد في قريتي يفك حرفاً في خطاب

وكيف حال أُختنا

هل كبرت . . وجاءها خُطّاب ؟

وكيف حال جدتي

ألم تزل كعهدها تقعد عند الباب ؟

تدعو لنا . .

بالخير . . والشباب . . والثواب !

وكيف حال بيتنا

والعتْبَةِ الملساء . . والوجاق . . والأبواب ؟

سمعت في المذياع

رسائل المشردين . . للمشردين

جميعهم بخير !

لكنني حزين . .

تكاد أن تأكلني الظنون
لم يحمل المذياع عنكم خبراً . .
ولو حزين
ولو حزين

ـ ٥ ـ

الليل ـ يا أمّاه ـ ذئبٌ جائعٌ سفاحْ
يطارد الغريب أينما مضى . .
ويفتح الآفاق للأشباحْ
وغابةُ الصفصاف لم تزل تعانق الرياحْ
ماذا جنينا نحن يا أُماه ؟
حتى نموت مرتين
فمرة نموت في الحياة
ومرة نموت عند الموت !
هل تعلمين ما الذي يملأني بكاء ؟
هبي مرضتُ ليلةً . . وهدَّ جسمي الداء !
هل يذكر المساء
مهاجراً أتى هنا . . ولم يعد إلى الوطن ؟
هل يذكر المساء
مهاجراً مات بلا كفن ؟

يا غابة الصفصاف ! هل ستذكرين
أن الذي رَمَوْه تحت ظلك الحزين
ـ كأي شيء مَيِّتٍ ـ إنسان ؟
هل تذكرين أنني إنسان
وتحفظين جثتي من سطوة الغربان ؟
أماه يا أماه.
لمن كتبت هذه الأوراق
أي بريد ذاهب يحملها ؟
سُدَّت طريق البر والبحار والآفاق . .
وأنت يا أُماه
ووالدي ، وإخوتي ، والأهل ، والرفاق . .
لعلكم أحياء
لعلكم أموات
لعلكم مثلي بلا عنوان
ما قيمة الإنسان
بلا وطن
بلا عَلَمْ
ودونما عنوان
ما قيمة الإنسان ؟

عن الصمود

- ١ -

لو يذكرُ الزيتون غارسَهُ

لصار الزيت دمعا !

يا حكمة الأجداد

لو من لحمنا نعطيك درعا !

لكنَّ سهل الريح ،

لا يعطي عبيد الريح زرعا !

إنّا سنقلع بالرموش

الشوكَ والأحزانَ . . قلعا !

وإلام نحمل عارنا وصليبنا !

والكونُ يسعى . .

سنظل في الزيتون خُضرتَهُ،
وحولَ الأرضِ درعا !!

- ٢ -

إنّا نحبُّ الوردَ،
لكنّا نحبُّ القمحَ أكثرْ
ونحبُّ عطر الورد،
لكن السنابل منه أطهرْ
فاحموا سنابلكم من الأعصار
بالصدر المسَمَّرْ
هاتوا السياج من الصدور..
من الصدور؛ فكيف يكسرْ ؟؟
إقبض على عنق السنابل
مثلما عانقتَ خنجرْ !
الأرض، والفلاح، والإصرار،
قل لي : كيف تقهرْ..
هذي الأقانيم الثلاثة،
كيف تقهرْ ؟

؟

عيناك يا صديقتي العجوز، يا صديقتي المراهقه
عيناك شحاذان في ليل الزوايا الخانقه
لا يضحك الرجاء فيهما، ولا تنام الصاعقه
لم يبق شيء عندنا.. إلّا الدموع الغارقه
قولي : متى ستضحكين مرة، وإن تكن منافقه ؟!

*

كفاك يا صديقتي ذئبان جائعان
مصي بقايا دمنا، وبعدنا الطوفان
وإن سغبت مرةً، لا تتركي الجثمان
وإن سئمت بعدها، فعندك الديدان
إنا خُلقنا غلطةً.. في غفلة من الزمان

وأنت يا صديقتي العجوز . . يا صديقتي المراهقه
كوني على أشلائنا، كالزنبقات العابقه !

*

الغاب يا صديقتي يكفِّن الأسرار
وحولنا الأشجار لا تهرِّب الأخبار
والشمس عند بابنا معمية الأنوار
واشية، لكنها لا تعبر الأسوار
إن الحياة خلفنا غريبة منافقه
فابني على عظامنا دار عُلاك الشاهقه

*

أسمعُ يا صديقتي ما يهتف الأعداء
أسمعهم من فجوة في خيمة السماء :
«يا ويل من تنفست رئاته الهواء
من رئة مسروقةٍ ! . .
يا ويلَ مَنْ شرابه دماء !
ومن بنى حديقة . . ترابها أشلاء
يا ويله من وردها المسموم»! !

عن الأمنيات

لا تقل لي :

ليتني بائعُ خبز في الجزائرْ

لأغني مع ثائر !

لا تقل لي :

ليتني راعي مواشٍ في اليمنْ

لأغني لانتفاضات الزمن !

لا تقل لي :

ليتني عامل مقهى في هفَانا

لأغني لانتصارات الحزانى !

لا تقل لي :

ليتني أعمل في أسْوَان حَمّالاً صغيرْ

لأغني للصخور

*

يا صديقي !

لن يصب النيل في الفولغا

ولا الكونغو، ولا الأردن، في نهر الفرات !

كل نهر، وله نبع.. ومجرى.. وحياة !

يا صديقي !.. أرضنا ليست بعاقر

كل أرض، ولها ميلادها

كل فجر، وله موعد ثائر !

سونا

أزهارُها الصفراءُ . . . والشفة المشاعْ
وسريرها العشرونَ مهترىء الغطاء
نامت على الإسفلت، لا أحد يبيع . . . ولا يباع
وتقيأت سأم المدينة ، فالطريق
عار من الأضواء . .
والمتسولين على النساء
نامت على الإسفلت، لا أحد يبيع . . . ولا يباع !
يا بائع الأزهار ! إغمد في فؤادي
زهرةً صفراء تنبت في الوحول !
هذا أوان الخوف، لا أحد سيفهم ما أقول
أحكي لكم عن مومسٍ . . كانت تتاجر في بلادي
بالفتية المتسولين على النساء

أزهارها صفراء، نهداها مشاع

وسريرها العشرون مهترىء الغطاء

هذي بلاد الخوف، لا أحد سيفهم ما أقول

إلّا الذين رأوا سحاب الوحل. . . يمطر في بلادي !

يا بائع الأزهار ! إغمد في فؤادي

زهر الوحول. . . عساي أبصق

ما يضيق به فؤادي

الكلمة

الشاعر العربيُّ محرومٌ
دمُ الصحراء يغلي في نشيدِهْ
وقوافل النوق العطاشْ
أبداً تسافر في حدودِهْ
والحلوة السمراء في صدف البحار !

الشاعر العربيُّ محرومٌ
تعوَّد أن يموت بسيف صمتهْ
ألقى على عينيه كل السر
قال : غداً ستفهمها عيوني
وأنا تركت لك الكلام على عيوني
لكنْ، أظنكِ ما فهمتِ !

البكاء

ليس من شوقٍ إلى حضنٍ فقدتُهْ
ليس من ذكرى لتمثال كسرته
ليس من حزنٍ على طفل دفنته
أنا أبكي !

*

أنا أدري أن دمع العين خذلان... وملحُ
أنا أدري،
وبكاءُ اللحن ما زال يلحُّ
لا تَرُشّي من مناديلك عطراً
لستُ أصحو.. لستُ أصحو
ودعي قلبيَ... يبكي !

*

شوكة في القلب ما زالت تغزُّ

قطراتٍ... قطراتٍ... لم يزل جرحي ينزُّ
أين زر الورد ؟
هل في الدم ورد ؟
يا عزاء الميْتين !
هل لنا مجد وعزٌّ !
أتركي قلبيَ يبكي !

*

خبِّئي عن أذُني هذي الخرافات الرتيبهْ
أنا أدرى منك بالإنسان... بالأرض الغريبهْ
لم أبعْ مُهري... ولا راياتِ مأساتي الخضيبهْ
ولأني أحمل الصخرَ وداء الحب...
والشمسَ الغريبهْ
أنا أبكي !

*

أنا أمضي قبل ميعادي... مبكرْ
عمرنا أضيق منا،
عمرنا أصغر... أصغرْ
هل صحيحٌ، يُثمر الموتِ حياةً
هل سأثمرْ
في يدِ الجائع خبزاً، في فم الأطفال سكّرْ ؟
أنا أبكي !

الرباط

لن نفترقْ

أمامنا البِحار، والغابات

وراءنا. فكيفَ نفترقْ ؟

يا صاحبي ! يا أسود العينينِ

خذني ! كيف نفترقْ ؟

وليس لي سواك !

*

لعلني سئمتُ مقلتيكْ

يا ظامئاً إلى الأبدْ !

لعلني أخاف من يديكْ

يا قاسياً . . إلى الأبدْ !

لكنني، بِلا أحدْ

بلا أحدْ !

فكيف نفترقْ ؟

*

يا أجمل الوحوش ! يا صديقي

ما بيننا سوى النفاق

والخوفِ من متاعب الطريق

البحرُ من أمامنا.

والغابُ من ورائنا،

فكيف نفترقْ ؟

عن الشعر

- ١ -

أمسِ ، غَنَّيْنا لنجمٍ فوق غيمهْ
وانغمسنا في البكاء !
أمس، عاتبنا الدوالي ، والقمر
والليالي والقدر،
وتوددنا النساء !
دقتِ الساعة، والخَيّامُ يسكرْ
وعلى وقع أغانيه المُخَدَّرْ
قد ظللنا بؤساء !
يا رفاقي الشعراء !
نحن في دنيا جديدهْ

مات ما فات، فمن يكتبْ قصيدهْ
في زمانِ الريحِ والذرَّة،
يخلقْ أنبياءْ !

- ٢ -

قصائدنا، بلا لون
بلا طعمٍ . . . بلا صوتِ !
إذا لم تحمل المصباحَ من بيتٍ إلى بيتِ !
وإن لم يفهم «البُسَطا» معانيها
فأولى أن نُذَرّيها
ونخلدَ نحنُ . . . للصمتِ !!

- ٣ -

لو كانت هذي الأشعارْ
إزميلاً في قبضة كادحْ
قنبلة في كف مُكافحْ !
لو كانت هذي الأشعارْ !

*

لو كانت هذي الكلماتْ

محراثاً بين يَدَيْ فلاحْ
وقميصاً. . . أو باباً. . . أو مفتاحْ !
لو كانت هذي الكلماتْ

*

أَحَدُ الشعراء يقول :
لو سَرَّت أشعاري خلّاني
وأغاظت أعدائي
فأنا شاعر. .
وأنا. . . سأقول !

الحزن والغضب

الصوتُ في شفتيكَ لا يُطربْ
والنار في رئتيكَ لا تُغلبْ
وأبو أبيكَ على حذاء مهاجرٍ يُصلبْ
وشفاهُها تُعطي سواكَ، ونهدُها يُحلبْ
فعلام لا تغضبْ ؟

- ١ -

أمس التقينا في طريقِ الليلِ، من حانٍ لحانِ
شفتاكَ حاملتانِ
كلَّ أنينِ غابِ السنديانِ
ورويتَ لي للمرةِ الخمسينَ
حبَّ فلانةٍ، وهوى فلانِ

وزجاجة الكونياك،
والخيّام، والسيف اليماني !
عبثاً تخدِّرُ جرحكَ المفتوحَ
عربدةُ القناني !
عبثاً تُطوِّع يا كنارَ الليلِ جامحةَ الأماني !
الريحُ في شفتيكَ... تهدم ما بنيتَ من الأغاني !
فعلام لا تغضبْ؟

- ٢ -

قالوا : إبتسمْ لتعيشَ !
فابتسمتْ عيونكَ للطريقْ
وتبرَّأتْ عيناكَ من قلبٍ يُرَمِّده الحريقْ
وحلفتَ لي : إني سعيدٌ يا رفيقْ !
وقرأت فلسفة ابتسامات الرقيقْ :
الخمر، والخضراء، والجسد الرشيقْ !
فإذا رأيتَ دمي بخمركَ،
كيف تشرب يا رفيقْ ؟؟

- ٣ -

القرية الأطلال،

والناطور، والأرض واليبـابْ
وجذوع زيتوناتكم . .
أعشاش بُومٍ أو غرابْ !
من هَيَّأ المحراثَ هذا العام ؟
من ربى التـرابْ
يا أنت ! . . أين أخوكَ . . . أينَ أبوكَ ؟
إنهما سرابْ !
من أين جئتَ ؟ . . أمن جدارٍ ؟
أم هبطتَ من السحـابْ ؟
أتُرى تصون كرامة الموتى ،
وتطرق في ختام الليل بـابْ ؟
وعلامَ لا تغضبْ ؟

- ٤ -

أتحبها ؟
أحببت قبلك،
وارتجفتُ على جدائلها الظليلهْ
كانت جميلهْ
لكنها رقصت على قبري، وأيامي القليلهْ

وتخاصرت والآخرين . . . بحلبة الرقص الطويلهْ
وأنا وأنت، نعاتبُ التاريخَ
والعَلَمَ الذي فقد الرجولهْ
مَن نحن ؟
دع نَزَقَ الشوارعِ
يرتوي من ذل رايتنا القتيلهْ
فعلام لا تغضبْ ؟

- ٥ -

إنا حملنا الحزن أعواماً وما طلع الصباحْ
والحزن نارٌ تُخْمِدُ الأيامُ شهوتَها،
وتوقظها الرياحْ
والريح عندكَ، كيف تُلْجِمُها ؟
وما لكَ من سلاحْ . .
إلّا لقاءُ الريحِ والنيرانِ . .
في وطنٍ مُباحْ ؟!

أجمل حب

كما ينبت العشب بين مفاصل صخرةْ

وُجدنا غريبين يوما

وكانت سماء الربيع تؤلف نجماً. . . ونجما

وكنت أؤلف فقرة حب. .

لعينيكِ. . غنيتها !

أتعلمُ عيناكِ أني انتظرت طويلا

كما انتظرَ الصيفَ طائرْ

ونمتُ. . كنوم المهاجرْ

فعينٌ تنام، لتصحوَ عين. . طويلا

وتبكي على أختها،

حبيبان نحن، إلى أن ينام القمر

ونعلم أن العناق، وأن القبل

طعام ليالي الغزل

وأن الصباح ينادي خطاي لكي تستمر

على الدرب يوماً جديداً !

صديقان نحن، فسيري بقربيَ كفاً بكف

معاً، نصنع الخبز والأغنيات

لماذا نسائل هذا الطريق. . لأي مصير

يسير بنا ؟

ومن أين لملم أقدامنا ؟

فحسبي، وحسبك أنا نسير. . .

معاً، للأبد

لماذا نفتش عن أُغنيات البكاء

بديوان شعر قديم ؟

ونسأل : يا حبنا ! هل تدوم ؟

أُحبكِ حُبَّ القوافل واحةَ عشب وماء

وحب الفقير الرغيف !

كما ينبت العشب بين مفاصل صخره

وجدنا غريبين يوماً

ونبقى رفيقين دوماً.

رباعيات

وطني ! لم يعطني حبي لَكْ
غير أخشاب صليبي !
وطني، يا وطني، ما أجملكْ !
خذ عيوني، خذ فؤادي، خذ.. حبيبي !

*

في توابيتِ أحبَّائي أُغنّي
لأراجيحِ أحبَّائي الصغارْ
دَمُ جَدِّي عائدٌ لي، فانتظرني
آخِرُ الليلِ نهارْ !..

*

شهوةُ السكِّينِ لن يفهمَها عطرُ الزنابقْ
وحبيبي لا ينامْ..

سأُغني، وليكنْ منبرُ أشعاري مشانقْ

وعلى الناس سلامْ..

*

أجملُ الأشعارِ ما يحفظُهُ عن ظهر قلبْ

كلُّ قارىءْ..

فإذا لم يشرَبِ الناسُ أناشيدَكَ شُربْ

قلْ، أنا وحديَ خاطىءْ..

*

ربما أذكر فرساناً، وليلى بَدَوِيّهْ

ورعاةً يحلِبون النّوقَ في مغربِ شمسِ

يا بلادي، ما تمنيتُ العصورَ الجاهليّهْ

فغَدِي، أفضلُ من يومي وأمسي !!.

*

الممرُّ الشائكُ المنسيُّ ما زالَ ممرا

وستأتيه الخُطى في ذاتِ عامْ

عندما يكبرُ أحفاد الذي عمَّرَ دهرا

يقلعُ الصخرَ، وأنيابَ الظلامْ..

*

من ثقوبِ السجنِ لاقيتُ عيونَ البرتقالِ
وعناقَ البحرِ والأفقِ الرحيبِ
فإذا اشتدَّ سوادُ الحزن في إحدى الليالي
أتعزَّى بجمالِ الليلِ، في شَعرِ حبيبي !!

*

حُبُّنا أنْ يضغطَ الكفُّ على الكفِّ، ونمشي
وإذا جعنا تقاسمنا الرغيفْ..
في ليالي البردِ أحميكِ برمشي
وبأشعارٍ على الشمس تطوفْ !!.

*

أجملُ الأشياءِ أن نشرب شاياً في المساءْ
وعن الأطفالِ نحكي..
وغد لا نلتقي فيه خَفاءْ
وَمِنَ الأفراحِ، نبكي !!.

*

لا أُريد الموت، ما دامت على الأرض قصائدْ
وعيون لا تنامْ !
فإذا جاء، ولن يأتي بإذن، لن أُعاندْ

بل سأرجوه، لكي أرثي الختامْ

*

لم أجد أين أنامْ

لا سرير أرتمي في ضفتيهْ

مومس مرت وقالت دون أن تلقي السلامْ :

سيدي! إن شئتَ.. عشرين جنيهْ !!

لوركا

عفوَ زهر الدم، يا لوركا، وشمس في يديكْ
وصليب يرتدي نار قصيده.
أجمل الفرسان في الليل... يحجون إليك
بشهيد.. وشهيده

*

هكذا الشاعر، زلزال.. وإعصار مياه
ورياح، إن زأر
يهمس الشارع للشارع، قد مرت خطاه
فتطاير يا حجر!

*

هكذا الشاعر، موسيقى، وترتيل صلاه
ونسيم، إن همسْ

يأخذ الحسناء في لين إله !
وله الأقمار عش، إن جلس !

*

لم تزل إسبانيا أتعس أمّ
أرخت الشعر على أكتافها
وعلى أغصان زيتون المساء المدلهمّ
علقت أسيافها !

*

عازف الجيتار في الليل يجوب الطرقات
ويغني في الخفاء
وبأشعارك يا لوركا، يلم الصدقات
من عيون البؤساء !

*

العيون السود في إسبانيا، تنظر شزرا
وحديث الحب أبكمْ
يحفر الشاعر في كفيه قبرا
إن تكلم !

*

نسي النسيان أن يمشي على ضوء دمك
فاكتست بالدم أزهارُ القمر
أنبل الأسياف... حرفٌ من فمك
عن أناشيد الغجر !

*

آخر الأخبار من مدريد، أن الجرح قال :
شبع الصابر صبرا !
أعدموا غوليان في الليل، وزهرُ البرتقال
لم يزل ينشر عطرا.

*

أجمل الأخبار من مدريد،
ما يأتي غدا

حنين إلى الضوء

ماذا يثير الناسَ لو سرنا على ضوء النهارْ
وحملتُ عنكِ حقيبة اليد. . . والمظلهْ
وأخذت ثغرك عند زاوية الجدار
وقطفت قبله !
عيناك !
أحلم أن أرى عينيك يوماً تنعسانْ !
فأرى هدوء البحر عند شروق شمسِ
شفتاك !
أحلم أن أرى شفتيك حين تقبِّلان
فأرى اشتعال الشمس في ميلاد عرس !
ماذا يغيظ الليل، لو أوقدتِ عندي شمعتين
ورأيت وجهكِ حين يغسله الشعاعْ

ورأيت نهر العاج، يحرسه رخام الزورقين

فأعود طفلاً للرضاع !

من بئر مأساتي . . . أُنادي مقلتيكِ

كي تحملا خمر الضياء إلى عروقي

ماذا يثير الناس لو أُلقيت رأسي في يديك

وطويت خصرك في الطريق !!

بطاقة هوية

سَجِّلْ !
أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألفْ
وأطفالي ثمانيةٌ
وتاسِعُهم . . . سيأتي بعد صيفْ !
فهل تَغضب ؟

*

سجل !
أنا عربي
وأعمل مع رفاق الكدح في محجرْ
وأطفالي ثمانيةٌ
أسلُّ لهم رغيفَ الخبزِ،

والأثوابَ والدفترْ
من الصخرِ . .
ولا أتوسَّلُ الصَّدَقاتِ من بابِكْ
ولا أصغرْ
أمام بلاط أعتابك
فهل تغضبْ ؟

*

سجل !
أنا عربي
أَنا إسمٌ بلا لَقَبِ
صَبُورٌ في بلادٍ كُلٍّ ما فيها
يعيش بفَوْرةِ الغضب
جذوري . .
قبل ميلاد الزمان رستْ
وقبل تفتُّحِ الحقبِ
وقبل السرو والزيتونْ
. . وقبل ترعرع العشبِ
أبي . . . من أُسرة المحراث
لا من سادةٍ نُجُبِ
وجدي كان فلاحاً

بلا حسبٍ.. ولا نسبِ !
يُعَلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتبِ
وبيتي، كوخُ ناطورٍ
من الأعوادِ والقصبِ
فهل تُرضيك منزلتي ؟
أنا إسمٌ بلا لقبِ !

*

سجل !
أنا عربي
ولون الشعر فحميٌّ
ولون العين بنيٌّ
وميزاتي:
على رأسي عقالٌ فوق كوفيَّهْ
وكفي صلبةٌ كالصخر...
تخمشُ من يلامسها
وعنواني :
أنا من قريةٍ عزلاء... منسيَّهْ
شوارعها بلا أسماء

وكل رجالها... في الحقل والمحجرْ
فهل تغضب ؟

*

سجل
أنا عربي
سلبتُ كروم أجدادي
وأرضاً كنتُ أفلحها
أنا وجميعُ أولادي
ولم تترك لنا.. ولكل أحفادي
سوى هذي الصخورِ..
فهل ستأخذُها
حكومتكم... كما قيلا !؟
إذن !
سجل... برأس الصفحة الأولى
أنا لا أكرهُ الناسَ
ولا أسطو على أحد
ولكني... إذا ما جعتُ
آكلُ لحم مغتصبي
حذارِ.. حذارِ... من جوعي
ومن غضبي !!

الفهرس
أوراق الزيتون
(١٩٦٤)

إلى القارىء ٥
ولاء ٧
نشيد ما ٨
عن إنسان ١٠
أمل ١٢
مرثية ١٤
وعاد.. في كفن ١٦
الموت في الغابة ٢٢
ثلاث صور ٢٤
الموعد الأول ٢٧
أغنية ٢٩
رسالة من المنفى ٣١
عن الصمود ٣٨
؟ ٤٠
عن الأمنيات ٤٢
سونا ٤٤
الكلمة ٤٦

البكاء ٤٧
الرباط ٤٩
عن الشعر ٥١
الحزن والغضب ٥٤
أجمل حب ٥٨
رباعيات ٦٠
لوركا ٦٤
حنين إلى الضوء ٦٧
بطاقة هوية ٦٩

صمّم الغلاف : الفنان نبيل قدوح